

النزعة العربية في العصر المملوكي

الدكتور محمود سالم محمد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة دمشق

النزعة العربية في العصر المملوكي

الدكتور محمود سالم محمد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة دمشق

مدخل:

ذهب كثير من الدارسين إلى أن مكانة العرب قد اهتزت في الدولة العربية الإسلامية منذ قيام الخلافة العباسية على أكتاف الفرس، وظلوا يبتعدون عن شؤون دولتهم شيئاً فشيئاً إلى أن فقدوا التأثير فيها، ولم يبقَ لهم من شأن الدولة شيء، وخاصة بعد سيطرة الأتراك على مقدرات الدولة العباسية، ووقوع الخلافة تحت وصاية البويهيين والسلاجقة، ثم الاجتياح المغولي الذي أنهى الخلافة العباسية، وقيام الدول المتتابعة: الزنكية والأيوبية، والمملوكية. وهو ما أشار إليه ابن خلدون في قوله: "لم يبقَ لهم من اسم المُلْك إلا أنهم من جنس الخلفاء... ولما ذهب أمر الخلافة انقطع الأمر جملة من أيديهم، وغلب عليهم العجم"^(١). فهل صار العرب كمّاً مهملاً في بلادهم؟ أفقدوا التأثير أو المشاركة في الأحداث الكبيرة التي ألمّت ببلادهم؟ هل فقدوا الشعور بأنفسهم وبأنهم أمة مثل باقي الأمم، لها ما يميزها؟

ألم يعبروا عن تطلّعهم إلى السيادة على بلادهم، وعن إيمانهم بأنهم أصحاب حضارة وحملة رسالة؟

في العصر المملوكي ظهر التملل العربي من حكم الغرباء على الرغم من أن العقيدة تجمعهم بهم، وكثرت وجوه التعبير عن الإحساس بالذات قولاً وفعلاً، مجسدة النزعة العربية في ذلك العصر.

المماليك ودولتهم:

يعود أصل المماليك إلى جملة الرقيق الذي كان يُجلب إلى البلاد الإسلامية من بقاع مختلفة بالأسر أو بالشراء. وقد ظهرت فكرة الاستعانة بالمماليك في العصر العباسي، وخاصة في خلافة المعتصم، فكان الخليفة يستخدم عدداً منهم، ويتخذهم قوة خاصة به. واتبعت الدول الإسلامية المستقلة هذه السُّنة، فكل حاكم يريد أن يقوّي سلطته أمام منائيه، يسعى إلى شراء ممالك له، ويحرص على أن تكون أجناسهم مغايرة للمناوئين له. ليضمن ولاءهم ومساعدتهم له في كل حين.

وهذا ما فعله ابن طولون والإخشيدي وابن حمدان والفاطميون والزنكيون. حتى إذا جله الأيوبيون، وأشادوا دولتهم المجاهدة، دفعتهم الحاجة العسكرية إلى الإكثار من شراء المماليك، والأتراك منهم خاصة، لأنهم عُرفوا بشجاعتهم وبسالتهم، فتكوّنت منهم قوة كبيرة، ازداد خطرهما مع ازدياد ضعف الدولة الأيوبية وتفككها^(٢).

وصل المماليك إلى الحكم بعد الحملة الصليبية التي قادها (لويس التاسع) ملك فرنسا على مصر سنة (٦٤٧هـ). ووفاة الملك الصالح أيوب في المعركة. فقد استطاع المماليك القضاء على الحملة الصليبية، وفرضوا (شجر الدر) زوجة الملك الصالح سلطنة على مصر، لكنها واجهت رفضاً واسعاً. لأن العرب لم يعتادوا على حكم امرأة، وقد عبّر عن ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(٣)، في قوله: (٤)

"لَمَّا تَوَلَّتْ شَجَرُ الدَّرِ عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، عَمِلَتْ فِي ذَلِكَ مَقَامَةً، ذَكَرْتُ فِيهَا بِمَاذَا ابْتَلَى اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ بَوْلَايَةِ امْرَأَةٍ عَلَيْهِمْ".

فاضطرت إلى الزواج من قائد الجيش الأتابك عز الدين أيبك، وتنازلت له عن السلطنة، فكانت بداية الدولة المملوكية التي قادت المواجهة مع الغزوين: الصليبي والمغولي.

أضى المماليك مدة حكمهم في صراع خارجي مع الصليبيين والمغول ومع القوى الأوروبية الناهضة، وفي صراع داخلي فيما بينهم حول السلطة، وفي قمع الثورات الشعبية على مطالبهم.

ومما يلفت النظر في هذه الثورات، ما قام به العرب، الذين عادوا إلى الظهور وإثبات وجودهم بصور مختلفة، منها المحافظة على اللغة العربية والعناية بها، والمحافظة على التراث وخدمته، وإظهار النزعة العربية في الأدب، والثورة المسلحة ضد المماليك، والسعي الدائم لتحقيق ضرب من الاستقلال الذاتي.

- وضع العرب في الدولة:

استأثر المماليك بالسلطة، ولم يتركوا للعرب من رعايتهم إلا بقدر ما يحتاجون إليه، وهو ما أثار حفيظة العرب، أصحاب البلاد، وحمة الرسالة الإسلامية. وكانت مواقع العرب في الدولة المملوكية متباينة، تمثلت في الخلافة ومستخدمي الدولة والأعراب.

- الخلافة:

كانت الخلافة الرمز العربي في السلطنة المملوكية، أحيانا المماليك عندما استقدم الظاهر بيبرس أحد أبناء الخلفاء العباسيين، وبايعه بالخلافة سنة (٦٦٠هـ)، ليكتسب حكم المماليك الشرعية التي يفتقد إليها، والتي كان يحرص عليها جميع الحكام المسلمين قبلهم وفي عصرهم، وليأخذ كل سلطان شرعية حكمه منه^(٥). لكن موقع الخليفة كان ضعيفاً، ولم يكن له أثر واضح في مجرى الأمور إلا في أحيان قليلة.

فالممالك لم يحتفظوا بالخلافة العباسية إلا لإتمام إجراءات التقليد وتصيب السلاطين، ولم يسمحوا للخليفة القيام بأي عمل من أعمال الدولة، وكانوا يهينون الخلفاء ويعزلونهم متى شاءوا.

وقد أتاحت لبعض الخلفاء فرص ليكونوا فاعلين في الدولة المملوكية فاغتموها، فحين "نصب سلطان صغير تدخل الخليفة في شؤون السلطنة"^(٦). وحين اختلف الممالك فيما بينهم على من يولونه السلطنة ولم يتفقوا على واحد منهم، ووجدوا الحل في مبايعة الخليفة المستعين بالله، وتصيبه سلطاناً على مصر. وقد استبشر العرب بذلك، وعبر ابن حجر^(٧) عن فرحهم الغامر لهذا الحدث، لأنهم ظنّوه عودة العرب إلى السيادة في بلادهم وبداية النهاية لحكم الممالك، فمدح الخليفة بقصيدة حماسية، قال فيها^(٨):

المَلِكُ فِينَا ثَابِتُ الْأَسَاسِ بِالْمُسْتَعِينَ الْعَادِلِ الْعَبَّاسِي
رَجَعْتَ مَكَانَةَ آلِ عَمِّ الْمُصْطَفَى لِمَحَلِّهَا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَنَاسِي
وَأَزَالَ ظُلْمًا عَمَّ كُلَّ مَعَمَمٍ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ

لكن سلطنة الخليفة لم تدم، وظل الخلفاء لا حول لهم ولا قوة في دولة الممالك، ولم يحققوا آمال العرب المعقودة عليهم.

- المستخدمون:

كان معظم رجال الدولة وعمالها من العرب، فالممالك الذين كوتسوا فئة عسكرية افتقروا إلى الخبرة في إدارة شؤون الدولة، لذلك استعانوا بأهل الدراية من سكان البلاد التي يحكمونها لإدارتها وتصريف أمورها، فكان معظم أصحاب الدواوين والوزراء والقضاة والمحاسبين والكتاب من العرب، ووصل بعضهم إلى مراتب سامية في الدولة، وكان لهم تأثير قوي فيها، وقد وصف القلقشندي صاحب ديوان الإنشاء بقوله^(٩):

"ولا خفاء أن صاحب ديوان الإنشاء من هذه المرتبة بالمحل الأرفع، والمنزلة التي لا تدافع ولا تدفع، والمقام الذي تفرّد بصدارته، فكان كالمصدر لا يتنى ولا يجمع، إذ هو كليم الملك ونجيّه، ومقرّب حضرته وحظيه، بل هو عميد المملكة وعمادها، وركنّها الأعظم وسنادها، وحامي حومها وسدادها، وعقدها المتسق ونظامها، هذا وهو الواسطة بين الملك ورعيته".

وكان المماليك يخشون غضب بعض العلماء والقضاة، مثل الشيخ عز الدين بن عبد السلام، الذي قال الظاهر بيبرس بعد موته^(١٠): "ما استقر ملكي إلى الآن".

وقد رفض الشيخ عز الدين بن عبد السلام الإفتاء للظاهر بيبرس بأخذ أموال التجار والأغنياء من أجل التحضير لمواجهة التتار قائلاً^(١١):

"بلغني أن عندك سبعة آلاف مملوك، لكل مملوك حياصة ذهب، وعندك منتي جارية، لكل جارية حلي فاخرة ما بين ذهب ولؤلؤ وفصوص ثمينة، فإذا بعث ذلك جميعه... أفيتك بأخذ أموال الرعية".

وكان القاضي برهان الدين بن جماعة^(١٢)، يفرض شروطه على السلطان، ويقيم الحد على الأمراء، ويبطل مظالمهم^(١٣).

شكل العرب من المستخدمين فئة ذات تأثير كبير في الدولة المملوكية، فهم الذين يديرون شؤونها، وهم صلة الوصل بين المماليك وعامة الناس، واكتسبوا احترام الجانبين. وكان الأشداء منهم يحاولون إصلاح الأوضاع الخاطئة في مجتمعهم، ويتصدون لظلم المماليك، ويجهرون بكلمة الحق، لا تسأخذهم فيسه لومة لائم، ولا يخشون سطوة مملوكية أو عسفاً سلطانياً.

- الأعراب:

هم سكان بوادي الدولة والمناطق البعيدة عن حواضرها الكبيرة، وقد اتسم وضعهم في العصر المملوكي بظاهرة واضحة، هي الأحلاف بين القبائل العربية المنتشرة في

سمر والشام والجزيرة العربية، وكان المماليك يحسبون لهذه الأحلاف حساباً كبيراً، ويخطبون ودّ قادتها، وكانت هذه الأحلاف تسعى إلى تدعيم مكانتها في الدولة، والتمسك السبل إلى حياة أفضل، وإعادة السلطان العربي إلى بلادهم.

وقد احتفظت أحلاف القبائل باستقلالها الذاتي، تنفذ ما تريده، فتحمي الطرقات وتفرض دأريها الأتاوة، وتقطعها حين يرفض المماليك مطالبها، فكان المماليك يسترضونها بالأعطيات، ويصدرون مراسيم تعيين أمرائها، وأقامت القبائل العربية في الجزيرة العربية وبادية الشام تجمعات قوية، شاركت في أحداث الدولة ووجهتها، وبلغت من القوة والتأثير مبلغاً عظيماً، تنافست معه الدولة المملوكية والدولة الإيلخانية التي أقامها المنغول في العراق على استمالتها إلى جانبها^(١٤).

برز في الدولة المملوكية عرب الفضل التغلبيون بقيادة آل مهنا، وشاركوا مشاركة مؤثرة في أحداث الدولة وكان المماليك يطلبون عونهم في صراعاتهم الداخلية والشامية، ويلجأ إليهم الأمراء المماليك الفارّون ويستجرون بهم، بل كانوا يستعينون بالملاطين المماليك، فعندما توجه السلطان الأشرف خليل إلى بلاد الشام أساقف الأمير مهنا بن عيسى ثلاثة أيام^(١٥).

فالقبائل العربية كانت قوة مؤثرة في الدولة المملوكية، ولم تكن منعزلة في بواديها، وكانت تثور كثيراً ضد الحكم المملوكي، وتشكّل خطراً دائماً عليه.

٤-١-٢ دور العرب في التاريخ:

مطلبت كتب التاريخ بذكر ثورات العرب ضد الحكم المملوكي، وكانت تسميها تمرد العرب أو فسادهم بالنهب والتخريب، ولم يفرق المؤرخون القدامى بين حركات البدو القشرية التي غايتها النهب على طريقة الغزو التقليدية بين القبائل، وبين الحركات الثورية التي قام بها العرب لمواجهة المماليك وللتعبير عن سخطهم ورفضهم لحكم

غريب عنهم وعن بلادهم. ولم يذكروا الأسباب التي دفعت العرب إلى فعل ذلك، ولم يوضحوا أحوال القبائل العربية وموقفها من المماليك.

بدأت ثورة العرب على المماليك منذ قيام دولتهم، لأنهم أنفوا من الخضوع لمماليك مستهم الرق^(١٦). ورأوا أنهم أحق بالملك من هؤلاء الغرباء، الذين جاؤوا إلى بلادهم رقيقاً، فقاد الشريف حصن الدين ثعلب الذي يعود بنسبه إلى جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - حركة واسعة للمقاومة، شارك فيها العرب ببلاد الصعيد وأرض الوجه البحري سنة (٦٥١هـ)، ومنع الأجناد من تناول الخراج، وقال: "نحن أصحاب البلاد، وأحق بالملك من المماليك"^(١٧). وكاتب الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق^(١٨).

واجتمع العرب، وهم يومئذ في كثرة من المال والخيل والرجال إلى الأمير حصن الدين، وهو بناحية دهروط صربان، وأتوا من أقصى الصعيد وأطراف بلاد البحيرة والجيزة والفيوم، وحلفوا له كلهم، فبلغ عدد الفرسان اثني عشر ألف فارس، وتجاوزت عدة الرجالة الإحصاء لكثرتهم، فجهز إليهم الملك المعز أيبك الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار، والأمير فارس الدين أقطاي المستعرب في خمسة آلاف فارس، فساروا إلى ناحية ذروة، فاقتتل الفريقان، وانهزم حصن الدين^(١٩)، وقبض المماليك على حصن الدين ثعلب، وسجن بالإسكندرية حتى شنقه الظاهر بيبرس^(٢٠).

وفي سنة (٦٩٨هـ)، قامت أحلاف البدو بالسيطرة على منطقة الصعيد، واستمرت حركة مقاومتهم للمماليك ثلاث سنوات، فرضوا على التجار وأرباب المعاش بأسىوط ومنفلوط فرائض جبوها، واستخفوا بالولادة، ومنعوا الخراج، ولبسوا الأسلحة، وأخرجوا أهل السجون^(٢١).

وفي سنة (٧٤٩هـ)، قام بنو عرك بثورة ضد المماليك، استمرت خمس سنوات بزعامة محمد بن واصل العركي، الذي كان يلقب بالأحدب لطوله وانحناء قامته، وبلغ

من قوته أن نادى بالسلطة لنفسه، وجلس في حتر^(٢٢)، وجعل خلفه المسند، وأجلس العرب حوله، ومدّ السماط بين يديه، وأنفذ أمره في الفلاحين. فلما عظم أمره -مدّ أمراء المماليك المشورة في أمر عرب الصعيد سنة (٧٥٤هـ-)، وقرروا تجريد العسكر لهم. فحشد محمد بن واصل شيخ عرك جموعه، وصمم على لقاء الأمراء، وحلّف أصحابه على ذلك. وقد اجتمع معه عرب منفلوط وعرب المراغة وبنو كلب وجهينة وعرك، حتى تجاوزت فرسانه عشرة آلاف فارس تحمل السلاح سوى الرجال المعدة، فإنها لا تعد ولا تحصى لكثرتها، وجمع الأحادب مواشي أصحابه كلهم وأموالهم وغلّالهم وحريمهم وأولادهم، وأقام ينتظر قدوم العسكر بقيادة السلطان. وقامت معارك حامية بين الحلف العركي والمماليك وقتل من انجانبين خلق كثير، فانهزم العرب، وطوردوا إلى بلاد السودان^(٢٣). ثم إن السلطان أمن العركي^(٢٤).

وفي سنة (٧٨٩هـ)، قتل أمير العربان بدر بن سلام غيلة، وكان قد قهر السلطان، وأعجز العسكر من التجاريد إليه، وهو يفرّ من مكان إلى مكان^(٢٥).

وفي بلاد الشام دأب أمراء آل مهنا على خلع طاعة السلطان إذ أساء المماليك لاستقلالهم الذاتي، مثل الأمير حيار بن مهنا الذي أراد والي حلب تأديب قبيلته، فهزمه حيار وقتله، وفتك بالجيش المملوكي، وظل خارجاً عن الطاعة من سنة (٧٦١هـ-) إلى سنة (٧٦٧هـ-)، ولما عجز عنه السلطان أمنه، ولم يؤاخذه في قتل والي حلب^(٢٦).

وكان أمراء مكة والمدينة من الأشراف يثرون ضد المماليك كلما وانتهم الفرصة، محاولين الاستقلال بإمارتهم عن التبعية للدولة المملوكية^(٢٧).

ويظهر أن الثورات العربية كادت أن تصل إلى أهدافها، وأنها أنهكت السلطة المملوكية، فالأمير برقوق جعل عجز السلطان عن إخضاع العربان لسلطة الدولة أحد أسباب خلعه^(٢٨).

وعندما أرسل السلطان يستجد بالعرب، منعه أحد الأمراء بقوله: "تُحَكَّم العرب في الترك" (٢٩).

"وقد قام الأمير طومان باي بنصرة الأتراك على العرب بعد أن كانت تنتهك حرمة المملكة، وتبهذلت الأتراك أي بهذلة بسبب ما وقع لهم" (٣٠).

لم تكن ثورات القبائل العربية تتم رغبة في الفتنة والتمرد، بل أراد العرب العودة إلى واجهة الحكم في بلادهم، وأن يكونوا فاعلين في الأحداث من حولهم، وأن يتخلصوا من الظلم والمهانة، فكانت ثوراتهم تعبيراً عن الشعور القومي المتنامي، فقد وجدوا أنفسهم في بحر من الأجناس المختلفة التي بخستهم حقهم في التقدير، وحرمتهم من تقرير مصائرهم بأنفسهم.

وظل العرب ناقلين على سلطة المماليك، لا تهدأ ثورة لهم حتى تقوم أخرى، ولم يغرب عن بالهم فكرة إقامة دولة عربية يكونون أسياها. لكن ثوراتهم لم يكتب لها النجاح، لأنهم لم يتمكنوا من تنظيم أنفسهم، ومن توفير أسباب النصر فكُسرت شوكتهم، بيد أنهم التمسوا وسائل أخرى للتعبير عن رغباتهم وتطلعاتهم مثل العلم والأدب، بل إن بعضهم استند إلى مآثورات قديمة ذات صبغة دينية في رفضه لحكم المماليك، كما حدث سنة (٨١٦هـ)، عندما ظهر رجل في دمشق "ادعى أنه السفيناني المنتظر، وهو إنسان من فقهاء دمشق. فأطاعه جماعة كثيرة من أهل دمشق. وصار في خدمته عربان وعشير. ونادى بها أن حكم الترك قد بطل" (٣١).

"وادعى رجل يقال له (الغرباني) أنه المهدي المنتظر" (٣٢).

فالثورات العربية كانت تعبيراً عن تيار عربي يقف في وجه التيار التركي الطارئ على البلاد العربية والمتحكم بأمورها، ولم تمنع شوكة المماليك القوية العرب من الاستمرار في محاولاتهم الدائبة للوصول إلى السلطة والتخلص من الحكم التركي.

ولم يكن العرب في موقع الثورة على الحكم التركي ورفضه فقط، بل كانوا يلتقون معه في الملمات لينهضوا جميعاً في ردّ الخطر عن البلاد، فكانوا يستجيبون لطلب السلطان ويلتحقون بجيش الدولة عند مواجهة الأعداء، فعندما عزم السلطان المظفر قطز، على التصدي للمغول خارج مصر، أرسل خلفه عربان الشرقية والغربية، فاجتمع عنده منهم خلق كثير شاركوا في معركة عين جالوت الفاصلة، إضافة إلى عرب الشام وجنوده الذين التحقوا بجيش مصر^(٣٣).

وكان هذا الأمر يتم في كل مرة بجيش السلطان جيشاً لمواجهة أعداء الدولة.

- الثقافة:

شهد العصر المملوكي حركة ثقافية واسعة، وخاصة بعد أن هاجر إليها العلماء العرب المسلمون من مشرق البلاد العربية الإسلامية ومنبرها تحت ضغط الزحف المغولي والفرنجي.

واتسمت هذه الثقافة بالأصالة العربية، لأن الخطر المحدق بالدولة جعل أهل الثقافة يتجهون إلى المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية، ويحرصون على خدمة التراث الذي وصلهم، وعلى حفظه من الضياع، لتأمين وحدة العرب المسلمين الفكرية، والتي أضحت ضرورة، دعت إليها محاربة الانفلات من الإجماع اللازم لمواجهة الأعداء المتربصين لهم.

"ولم يكونوا في متابعتهم لأسلافهم مفتونين بالقديم، وإنما حافظوا إلى مقوماته لأسباب موضوعية جدّت في عصرهم، فقد أسس العرب أن الأمم تريد أن تحفظهم من حولهم، وأن من واجبهم أن يتجمعوا ضدها، وأن يحافظوا أقوى المحافظة على أمتهم وكل ما يشخصها ويمثلها... وصدروا عن شعور عميق بوجوب استمرار العروبة وروحها العظيمة"^(٣٤).

وقد نهضت اللغة العربية بكل ما تتطلبه هذه الحركة الثقافية وما تحتاجه مناحي الحيلة المختلفة، فظلت موضع عناية وتبجيل. وظلت علومها موضع بحث ودراسة، فهي لغة الدين ولغة أهل البلاد، وهي ضرورية لضبط شؤون الدولة والمُلك، ولغة المماليك عاجزة عن منافستها والحلول محلها.

وأهم ما ميز النشاط الثقافي في العصر المملوكي هو التأليف الذي عزّ نظيره، والذي يدل على اتساع هذا النشاط وغناه. فقد وصلنا من ذلك العصر عدد كبير من الكتب، لم تحصر حتى الآن، موضوعة في المعارف المختلفة، تصنف بالتكثيف. وحفظت لنا قدراً كبيراً من علوم العرب ولغتهم.

هذه الكثرة الكاثرة من الكتب التي صُنفت في العصر المملوكي لا تقتطعها الحركة الثقافية، ولم تكن ثمرة لها فقط، بل كانت وراءها نظيره في واقع آخرى، تتجاوز الرغبة الشخصية في تخليد الاسم وإحياء المفسر، بل هي من أجل كسب مدحوا الطلب من أئلس آخرين... إنها المشاعر الدينية والقومية التي كانت تعتلج في صدور العلماء والكتّاب والمصنفين، في خضم الظروف العصيبة التي عشناها بعد سقوط دولة المماليك في المجتمع العربي الإسلامي وتهدد وجوده. فالعرب في هذه الفترة كان يعاني من الانقسام العرقي، بل الانتماء الحضاري - العربي - الذي كان له الأثر السليم فيهم بمرور انتهاء وجودهم، وأن من واجبهم المحافظة على تراثهم، فحفظوا أنفسهم من الانهيار ويراثون في كتب كبيرة عامة، تقرب من الموضوعات الخاصة بعد أن انقضى العراء حقدهم على التراث العربي والحضارة العربية. فحفظوا هذه التراث الذي أصبح من كتب عريضة الإحراق والتفريق.

وقد نجح هؤلاء المصنفون فيما نشروا ونسخوه، فحفظوا على قدر كبير من التراث العربي الذي اندثرت أصوله، في كتاباتهم الجامعة.

وربما كان لابتعاد العرب عامة، والمثقفين خاصة، عن المنطة والسياسة ومشاغلاها ما جعلهم ينصرفون نحو الثقافة والتأليف. فكان المستخدمون من المثقفين قلة، وكان

هؤلاء يجدون متسعاً من الوقت للانصراف إلى شؤون الثقافة. فيتبارون في التصنيف، ويفتخرون بذلك.

ولم يكن هؤلاء مصنفين فقط، بل إنهم أكملوا ما وصلهم، وسدّوا ثغراته، وأضافوا إليه، ليسلموه إلى من يأتي بعدهم، فتظل روح الثقافة العربية متأججة في نفوس أبناء الأمة. فقد أدركوا المكتبة العربية حين كادت أن تندثر، وأحيوها، وجبروا كسرهما، وحافظوا عليها من شراسة الغزاة وهمجيتهم، ومن الفوضى التي استشرت في عصرهم، فلم يقلّوا مكانة عن المجاهدين الأبطال الذي ردّوا كيد العداة، وصانوا البلاد العربية من التمزق والانحناء.

- الأدب:

ظهرت النزعة العربية في الأدب بصور مختلفة، منها متابعة التقاليد العربية في فنون الأدب وأساليبه، ومنها الحنين إلى الأماكن الحجازية وسواها من الجزيرة العربية، وإلى الأزمان التي كان فيها العرب هم السادة، ومنها الإشادة بالفضائل العربية والقيم التي يعتز بها العربي، ولا ينتفت إليها أنماليك، ومنها الإشادة بالعرب وبالرموز العربية مثل الرسول العربي الكريم وصحابته وآل بيته الكرام. والخليفة العباسي، وأصحاب الشأن من العرب في السلطنة.

ولم يكن الاعتزاز بالعروبة قاصراً على الذين يحتفظون بسلسلة نسبهم العربي الخالص، وإنما اعتز بالعروبة كل من انتمى إليها حضارياً، فأختلط العرب بغيرهم من الشعوب جعل من العسير على معظم الناس الاحتفاظ بأنسابهم وإثبات أصلاتها. لكن ذلك لم يقلل من انتمائهم للعروبة، وخاصة أن الإسلام ربط عناصر الدولة، وخفف من حدة التنافر بينها.

ويبدو أن المفاضلة بين الأقوام كانت مطروحة بين المثقفين، وهو ما يظهره كتاب (مبلغ الأرب في فضائل العرب)، الذي عرض ما اختصر به العرب من فضائل دون سائر الأمم، وما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف يؤيد ذلك، وما انتهى إليه

أنصار العرب في الجدل الشعبي الذي احتدم في العصر العباسي، وقد بدأت خطبة الكتاب بالحمد والصلاة على النحو التالي^(٣٥):

"الحمد لله الذي اختص العرب بين سائر الأمم بمزايا لا تحصى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي شرف الله به العرب على سائر من سواهم بفضائل لا تستقصى".

كثر ذكر العرب في شعر العصر المملوكي بأشكال مختلفة، منها الغزل بالعربيات في عصر شهد تمجيد كل ما هو تركي حتى في جلال المرأة، مثل قول أحمد بن الحسن الموصلي^(٣٦) في موشح له^(٣٧):

فجفنه الفاتك الكناني	من مقل رائث لي نبال
وهو الخفاجي قد غزاني	ووجهه سن بني هلال
عبي لحظ له سساني	جسم زبيدي بالدلال
والردف يدعى من آل سامر	وواضح الصلت من صباح
وخصره من هُتيم صسامر	يدور من حوله وشاح

قصد الشاعر إلى ذكر القبائل العربية، ليذكر معاصريه بها، وليقيم التورية بمعاني أسمائها، فذكر هذه الأسماء يحمل ظلالاً خاصة تنفخ إليها النفس العربية المتحسرة والمشبعة بمشاعر الغبن.

وحين يمدح الشاعر رجلاً من أصل عربي يسهب في الإشادة بنسبه وبالفضائل العربية التي يحرص العربي على التحلي بها، مثل قول الجزار^(٣٨) في مدح رجل ينتسب إلى الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه-^(٣٩):

ولقلما يخشى الحوادث من غدا
ولله إلى آل الزبير مآل

قوم يضيء الليل من أنوارهم فبهم تدل عليهم السؤال

بيراعهم وسيوفهم بين الورى تنقسم الأرزاق والآجال

فالشجاعة والكرم وحماية الجار قيم عربية يهتز لها العربي، ولا ينفعل بها غيره، والإشادة بالعرب وفضائلهم تذكر العربي بأجانه وتبعث فيه الحماسة على استعادتها. ومثل ذلك قول ابن نباتة^(٤٠) فيمن ينتسب إلى الخليفة الفاروق رضي الله عنه^(٤١):

نجل الخلائف نبه عندها عمرا وافخر بكل عمير البيت جججاج

المترعين جفانا كل داجية والمفرعين جفونا عند إصباح

فإن حموا بيضة الإسلام إنهم من سادة في صميم العرب أقحاح

على الرغم من اختلاف القيم وتبدلها لاختلاف العناصر المتحركة بالبلاد العربية، فإن هذه القيم ظلت مستقرة في النفس العربية لأنها جزء من مكوبات الشخصية العربية. فظل الشعراء يذكرون الناس بها عند الإشادة بصاحب نسب عربي أصيل.

وكانت الإشادة بالبيت منفذاً للإشادة بالعرب، فهم عرب أقحاح، لهم مكانتهم الدينية والدنيوية، وهم أصحاب حق في السلطة، ولا يستطيع أحد أن ينكر فضلهم أو أن يعترض على مدحهم، ولذلك كثر ذكر آل البيت في المدائح النبوية أو في قصائد خاصة بهم، أو عند مدح أحد الأشراف، مثل مدح الجزار للشريف تقي الدين ثعلب الذي قاد أول ثورة للعرب ضد الحكم المملوكي، وقال فيه:

شرفت بنظم مديحك الأشعار وتحيرت في وصفك الأفكار

من ذا الذي يحكيك في مجد وفي شرف وجذك جعفر الطيار

ولأنت من قوم يهون عليهم يوم الوغى أن تبذل الأعمار

قوم قد اختاروا الثناء لأنه أبداً يدوم وحبذا ما اختاروا

مزج الجزار بين القيم الدينية والقيم العربية التقليدية في مدح الشريف ذي القرنين، لأن الممدوح له صفة دينية، ولأنه صاحب نسب عربي أصيل، فهو رمز عربي قسسي الدولة المملوكية، يجسد الإباء العربي والرغبة العربية في السيادة على بلادهم.

ومكانة آل البيت تقوم على قرابتهم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولذلك كان مدحهم ممزوجاً بمدحه، مثل قول الشهاب العزازي^(٤٣) من مدحة نبوية^(٤٤):

نمته من هاشم أسد ضراغمة لها السيف بيوت والقنصل عسيل

لهم على العرب العرباء فاطمة به التبحر وترجيح وتفضيل

قوم عمانهم ذلت لعزتها السـ سعساء تيجان كسرى والأكسال

بنو هاشم أرفع بيوت العرب دأبهم الشجاعة والقتال من أجل الحق، وقد استلموا العلم، يقودوا العرب إلى القضاء على أكبر دولتين في العالم آنذاك، فكيف سبي العجم أمجادهم، وكيف استكانوا لحكام غرباء عنهم وعن أوطانهم.

أما المدائح النبوية بأنها كانت تعبيراً واضحاً عن النزعة العربية في العصر العباسي يخفف فيها الشعراء العرب عن كربهم وكتبهم، فهم يمدحون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو عربي صميم، ولا يستطيع أحد أن يعترض على ذلك، ويمدحون العرب عند ذكرهم آل البيت والصحابة رضوان الله عليهم -ولا يجروا أحداً من بني المسألة، وربما كان مدحهم للعرب مدحاً عادياً- فقد أشادوا بعروبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأشادوا بعروبة صحابته وآله -رضوان الله عليهم- وأنشروا في الإشادة بالعرب حملة الرسالة الإسلامية إلى العالم، مثل قول الشمس الدمشقي^(٤٥) من مدحة نبوية^(٤٦):

عرب لي أرب في حبهم إنني أقضي وأقضي الأربا
سادة سيدهم لا غرو أن جمع السؤدد فهو المجتبي

مدخل الإشادة بالعرب في المدائح النبوية هو الافتخار بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم - من العرب، وهو الذي رفع شأنهم ببعثته، ولذلك يستحقون السيادة في بلادهم بعد أن حملوا رسالة الإسلام إلى العالم، وهذه حقيقة لا يستطيع أحد ردها أو الاعتراض عليها.

ويمضي البرعي^(٤٧) خطوة إلى الأمام في التنويه بفضل العرب في المدائح النبوية، فيقول^(٤٨):

يليق الخطاب العربي بأهله فيهدي الوفا للنقص والحسن للقبح
ومن شرف الأعراب أن محمداً أتى عربي الأصل من عرب فصيح

هذه الإشادة بالعرب ولغتهم التي شرفها الله تعالى - بالقرآن الكريم، وهذا الشرف يوجب على المسلمين من غير العرب أن يراعوا جانبهم ويعرفوا فضلهم، وقد أورد الشاعر هذا المدح للعرب في المدحة النبوية حتى يأمن غضبة الممالك الذين حرصوا على إظهار تدينهم، ولا يمكنهم أن يأخذوا شاعراً يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالثناء على قومه:

ويصل شعراء المدح النبوي إلى المدح الصريح للعرب، وإظهار تعلقهم بالعروبة، مثل قول الصرصري^(٤٩)(٥٠):

عن أيمن السفح بالحمى عرب بين فؤادي وبينهم نسب
أعزة سادة لهم همم تقصر عنها الرماح والقضب

زُيِّنَتْ سماء العُلَى بهم فهم شمسها والبدور والتسديد

إن حار ركب فهم أدلتهم أو جار جذب فرقدتهم

هذا مدح حار للعرب، يذكر الناس بفضلهم بعد أن استكانوا لحكم غيرهم، فيعني الممالك أنهم أتباع نبي عربي، يحق لأهله الكرامة، ويتذكر العرب أنهم أمة عزيزة ذات مجد عريق، عليهم استرجاعه. ومثل ذلك قول ابن الجياب الأندلسي^(٥٢)؛

فخير الورى للعرب الذين هم هم عطاء نوال أو لقاء قتابل

أكفهم تزجي المنايا أو المنى وتهمي ببأس لا يرد وسائل

فقد سارت الركبان تنشر فخرهم كنشر الصبا عرب الربا والتسائل

ما هي دواعي هذا المدح المستفيض للعرب، وما هي مسوغات ذكر فضائل العرب في مدحة نبوية؟

مناسبة القصيدة لا تتيح للشاعر هذا الإسهاب في مدح العرب، وهذا يعني أنه قصيدة ذلك وأراده، لأنه يعبر عما يعتلج في نفسه وفي نفوس العرب من تطمع إلى التواجد، وإلى الانتصاف من المتسلطين على بلادهم، والذين لا يوازن العرب في أمجادهم وفضائلهم، ولكن ما أوصل العرب إلى حالهم هذه، هو تقاعسهم وجهلهم بأنفسهم، ولذلك لا بد من تذكيرهم وإثارة حميتهم لينهضوا لاسترداد حقوقهم المهدورة.

وربما اقترب الشاعر من التصريح بمراذه من الإشادة بالعرب، مثل فصول الشهاب الظريف^(٥٣)؛

قوم هم العرب المحمي جارهم فلا رعى الله إلا أوجه العرب

ففي دعائه بالآ يرى الله إلا أوجه العرب تعبير عن إيمانه بالعروبة، وعينه على العرب على واقعهم، وشعورهم بالغبن، وتأكيد على فضل العرب، وتعريض بغيرهم

من ولادة الأمور الذين لا يحمون من يستجير بهم، فهنا يوجد موقف من العرب وغيرهم، أوضحه ابن هبة الله الجهني قاضي حماة^(٥٥) في قوله^(٥٦):

أيا سيد العرب الكرام ومن غدت سيادتهم للناس كلهم حقاً

لا يوجد تعبير أوضح من هذا الإيمان بسيادة العرب على بلادهم، يجلو ما يعتمل في نفوس الناس آنذاك، ويجسد تطلّعهم إلى الانتصاف من الطائفتين على بلادهم. ويظهر تملّكهم من حكم المماليك.

فالشعراء العرب لم يتركوا مناسبة تمرّ من غير أن يعبروا عن شعورهم بذاتهم وعن نزعتهم العربية.

- خاتمة:

إن الناظر في تاريخ العصر المملوكي وإنتاجه الثقافي يلاحظ بوضوح أن الشعور القومي عند العرب قد تنامي بعد إبعاد طويل عن واجهة الدولة، وأن النزعة العربية كانت ظاهرة، وقد تجلّت في مظاهر مختلفة، منها المحافظة على مقومات الشخصية العربية، والعناية بالتراث العربي وحفظه والاعتزاز بالعروبة وقيمتها وإظهار ذلك في الأدب، والثورة ضد المماليك.

وهذا يؤكد أن العرب لم يبقوا كمّاً مهملاً في الدولة العربية الإسلامية، فكانت لهم مشاركتهم الكبيرة والمؤثرة في الأحداث المصيرية، وكان لهم وجودهم الظاهر في الدولة المملوكية، المتمثل في الخليفة العباسي والمستخدمين من العرب، والأحلاف القبلية.

وقد عبّر العرب عن نزعتهم العربية بوضوح في الثقافة والأدب، وإن احتال الشعراء على ذلك بتضمين الإشادة بالعرب في الموضوعات الدينية، لأن هذه الإشادة موقّفة

سياسي مناوئ للمماليك، يثير نقمتهم ويوغر صدورهم، وإدراجها في موضوع ديني يعصمهم من ذلك.

ولا شك أن الإشادة بالعرب وذكر فضائلهم والتتويه بأمجادهم، وربط ذلك بالنبي - صلى الله عليه وسلم- وبآله وصحابته، يثير في نفوس العرب الرغبة في الانتصاف، ويوقظ الأمل باسترجاع مكانتهم في الدولة الإسلامية، ويذكر المماليك بحق العرب ووجوب مراعاة جانبهم لفضلهم السابق ولشرفهم ببعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من بينهم ، ويحملهم الرسالة الإسلامية.

وبذلك كان العصر المملوكي عصر البحث عن الذات القومية عند العرب، ونمو النزعة العربية التي تجلت في الثورات الصريحة الواضحة الأهداف، وفي العناية بالتاريخ القومي والتاريخ الشعبي (تكمال السير الشعبية)، وفي الموسوعات الضخمة والمعاجم اللغوية الكبرى.

الحواشي

- (١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٥٢.
- (٢) انظر ابن إياس: بدائع الزهور، ١/١-١٦٢ و ٢٦٩.
- (٣) عز الدين بن عبد السلام: عبد العزيز السلمي، فقيه مفسر بلغ درجة الاجتهاد، أمر بالمعروف ناه عن المنكر تغلظ على الملوك والأمراء، توفي سنة (٦٦٠هـ)، بدائع الزهور ١/١-٣١٧.
- (٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ١/١-٢٦٨.
- (٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ١/١-٣١٤.
- (٦) ابن إياس: بدائع الزهور ٣/٣٣٩.
- (٧) ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي: محدث زمانه، تولى القضاء، صنف ونظم الشعر، توفي سنة (٨٥٢هـ) شذرات الذهب ٧/٢٧٠.
- (٨) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٤.
- (٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٤/١٩٠.
- (١٠) ابن إياس: بدائع الزهور، ١/١-٣١٧.
- (١١) ابن إياس: بدائع الزهور، ١/١-٣٣٧.
- (١٢) برهان الدين بن جماعة: محمد بن أبي بكر الحموي، أتقن علوماً مختلفة، وتولى القضاء، توفي سنة (٨١٩هـ)، الضوء اللامع، ١/١٧١.
- (١٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ١/٢-١٤٧ و ١٦٥ و ١٦٧.
- (١٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣/٢٧٦.

(١٥) جاء في ترجمة سليمان بن مهنا في أعيان العصر الصفدي، ٤٠٣/١. "أمير العرب، كان المسلمون والمغل يخشونه ويهابونه ويدارونه ويخافونه. يأكل إقطاع صاحب مصر وإقطاع ملك التتار، ولا يزال له بالبلاد الفراتية نواب".

(١٦) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٩.

(١٧) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ١٢٣.

(١٨) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٣٧.

(١٩) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ١٢٣.

(٢٠) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٣٧.

(٢١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٤٩/٨.

(٢٢) الجتر: مظلة السلطان.

(٢٣) المقرئزي: السلوك، ٩١٠-٣/٢.

(٢٤) السخاوي: الذيل التام، ١٣٣.

(٢٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ٤٠١/١.

(٢٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ٨٦-١/٢. وابن كثير: البداية والنهاية، ٢١٧/١٤.

(٢٧) انظر: البداية والنهاية، ١١٩/١٤. وبدائع الزهور، ٢٥٥/٢.

(٢٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ١/١ ص ٣١٠.

(٢٩) ابن إياس: بدائع الزهور، ٣٠٤/٢.

(٣٠) ابن إياس: بدائع الزهور، ٤١٦/٣.

- (٣١) ابن إياس: بدائع الزهور، ٧/٢.
- (٣٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ٢٤٦/٢.
- (٣٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ١/١-٣٠٥.
- (٣٤) ضيف، د. شوقي: فصول في الشعر ونقده، ص ١٨٠.
- (٣٥) ابن حجر الهيتمي: مبلغ الأرب، ص ٣.
- (٣٦) أحمد بن الحسن بن علي الموصلي: شاعر اشتهر بجودة موشحاته، أقام مدة في الشام، ومدح الملك المنصور صاحب حماة. المنهل الصافي، ١/٢٥١.
- (٣٧) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ١/٣٥١.
- (٣٨) الجزار: يحيى بن عبد العظيم، شاعر مجيد، كان في بداية أمره جزاراً، ثم ارتزق بالشعر، توفي سنة (٦٧٩هـ)، فوات الوفيات، ٤/٢٧٧.
- (٣٩) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص ٣٣٧.
- (٤٠) ابن نباتة: محمد الجذامي، شاعر عصره، وأحد أشهر كتابه، عمل في ديوان الإنشاء، وترك مصنفات كثيرة، توفي سنة (٧٦٨هـ). الدور الكامنة، ٤/٣٣٩.
- (٤١) ديوان ابن نباتة، ص ١٠٦.
- (٤٢) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص ٣٢٨.
- (٤٣) الشهاب العزازي: أحمد بن عبد الملك التاجر الشاعر، برع في الموشحات، توفي سنة (٧١٠هـ)، الدرر الكامنة، ١/٢٠٥.
- (٤٤) ابن شاعر: فوات الوفيات، ١/٩٥.

(٤٥) الشمس الدمشقي: محمد بن محمد: خطيب السابئية بدمشق، فقيه محدث، جاور بمكة، الضوء اللامع، ٢٤٥/٩.

(٤٦) السخاوي: الضوء اللامع، ٢٤٥/٩.

(٤٧) البرعي: عبد الرحيم بن أحمد اليميني: شاعر متصوف، توفي سنة (٨٠٣ هـ). ابن زيارة اليميني: ملحق البدر الطالع، ص ١٢٠.

(٤٨) ديوان البرعي، ١٣٦.

(٤٩) الصرصري: يحيى بن يوسف الأنصاري، فقيه لغوي شاعر، قتله التتار عند دخولهم بغداد سنة (٦٥٦هـ) ديوانه، ورقة ١.

(٥٠) المجموعة النبهائية ٣٩٨/١.

(٥١) ابن الجياب الأندلسي: علي بن محمد، شاعر ناثر، وزير لملوك بني الأحمر، توفي سنة (٧٤٩هـ). ابن الأحمر: نثير الجمان، ص ١٢٥.

(٥٢) ديوان ابن الجياب الأندلسي، ورقة ٧.

(٥٣) الشاب الظريف: محمد بن سليمان التلمساني، شاعر رقيق، توفي شاباً سنة (٦٨٨هـ). فوات الوفيات، ٣٧٢/٣.

(٥٤) ديوان الشاب الظريف، ص ٥٦.

(٥٥) ابن هبة الله الجهني: عبد الرحيم بن ابراهيم البارزي، محدث أديب، تولى قضاء حماة، توفي سنة (٦٨٣هـ). اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٢١٨/٤.

(٥٦) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٢١٩/٤.

المراجع

- ابن ثغري بردي، يوسف. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد نجاحي، مطبعة دار الكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٥٦.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق مجموعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠.
- ابن الأحمر، اسماعيل: نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٧٦.
- ابن إياس، محمد بن أحمد: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة، ١٩٦١.
- ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأتباء العمر، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٧٠. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق سالم الكرنكوي الألمانى، دار الجيل، بيروت.
- ابن حجر الهيتمي: مبلغ الأرب في فضائل العرب، مطبعة أم القرى، ط١، القاهرة، ١٣٥٧.
- ابن خلدون ، مقدمته: دار إحياء التراث العربي، ط٤، بيروت.
- ديوان البرعي، عبد الرحيم بن أحمد: شرح المسعودي، مكتبة البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٩٥٠.
- ديوان ابن الجياب الأندلسي، مخطوط ظاهريّة، رقم (٥٨٠٢).
- ديوان الشاب الظريف، تحقيق شاكِر هادي، مطبعة النجف، ١٩٦٧.
- ديوان الصرصري، مخطوط ظاهريّة، رقم (٣٣٣٢).
- ديوان ابن نباتي المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن زيارة اليماني، محمد بن محمد: ملحق البدر الطالع، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٤٨.

- ابن سعيد السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة بيروت. الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق حسن مروة، دار ابن العماد، ط١، بيروت، ١٩٩٢.
- السيوطي، عبد الرحمن: تاريخ الخلفاء، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧١هـ.
- ابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ، بيروت.
- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت.
- القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٢.
- ابن كثير: البداية والنهاية، مصور طبعة المطبعة السلفية، بيروت، ١٩٦٧.
- المقرئزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٦١. السلوك في تاريخ الملوك، تحقيق سعيد عاشور، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢.
- النبهاني، يوسف: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٢٠.
- اليونيني، موسى بن محمد: ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ط١، ١٩٥٤.
- ضيف، د. شوقي: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
- ابن سعيد، موسى بن محمد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣.
- الصفدي، خليل بن أيبك: أعيان العصر وأعوان النصر، تصوير سيزكين.